JABATAN KEMAJUAN ISLAM MALAYSIA
DEPARTMENT OF ISLAMIC DEVELOPMENT MALAYSIA

Jurnal Hadhari 4 (1) (2012) 171-190
www.ukm.my/jhadhari

UNIVERSITI KEBANGSAAN MALAYSIA
The National University of Malaysia
INSTITUTE OF ISLAM HADHARI

التعايش السلمي بين الأديان في الإسلام

(The Peaceful Coexistence Amongst Religions In Islam)

KAMILOV ASKHABALI*
MUDASIR ROSDER
ABD. RAHMAN MAHMOOD

ملخص

قضية التعايش السلمي بين الأديان في الإسلام تعتبر من أهم القضايا التي أشار إليها علماء المسلمين ومفكرون بتحديد وبيان مدى التعايش والتسامح مع الآخرين في الإسلام، مستفتيا أهم مصادر الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية لفهم ومعرفة مدى التعايش السلمي بين الأديان، لأن الإسلام كدين السماوي يقوم على مبادئ ثابتة وأسس واضحة لايرفض التعايش إذا كانت الغاية منه هي خدمة الأهداف الإنسانية السامية وتحقق المصالح البشرية العليا، وأهمها استتباب الأمن وردع العدوان والظلم والاضطهاد الذي يلحق بالأفراد والجماعات والشعوب، بشرط أن يكون هذا التعايش محكوما بالاحترام المتبادل بين أصحاب الديانات والإنسانية جمعا. فالتعاريف التعايش السلمي في الإسلام والآيات القرآنية والسيرة النبوية تدل على إمكانية التعاون والتعامل بالمعروف مع إستيعاب قيم الحوار والجدل بالتي هي أحسن والإحترام المتبادل مع أن الإسلام في وقت نفسه لايتراجع إذا أنتهكت حقوق المسلمين أو أعتدي على معتقداتهم ومشاعرهم لأن ذلك أمر غير مسموح به.

كلمات مفتاحيه: التعايش السلمي، حرية الإعتقاد، التسامح، العدالة، المساواة

ABSTRAK

Isu kebebasan beragama dan kehidupan berharmoni di antara agama-agama dalam pandangan Islam adalah salah satu daripada isu yang paling penting, di mana para ulama dan ahli fikir (falsafah) Islam telah mengenal pasti kewujudan bersama yang penuh kesabaran ini adalah bersandarkan kepada sumber-sumber keislaman iaitu Al-Quran dan Sunnah. Ini adalah kerana Islam itu agama Ilahi yang mempunyai prinsip-

*Corresponding author.
Email: kamilov.a.m@gmail.com

Copyright © 2012 Jabatan Kemajuan Islam Malaysia dan Institut Islam Hadhari UKM

prinsip yang stabil dan asas-asas yang jelas, tidak menolak kewujudan bersama kerana tujuannya ialah untuk mendokong matlamat yang luhur yakni sifat perikemanusiaan dan merealisasi faedah-faedah kewujudan bersama yang unggul, antaranya yang paling mustahak adalah menjaga keselamatan dan mencegah pencerobohan, penganiayaan dan penindasan ke atas individu, kumpulan dan manusia sejagat. Namun, kesemua ini tertakluk kepada kewujudan bersama yang disertai dengan sifat saling menghormati antara agama dan kemanusiaan keseluruhannya. Definisi kewujudan bersama yang aman di dalam Islam menurut Al-Quran dan Sunnah membayangkan kemungkinan kerjasama dan layanan baik serta saling memahami nilai murni pertuturan dan hujah-hujah dalam keadaan yang baik dan saling menghormati. Di samping itu, Islam tidak membenarkan pencerobohan hak-hak umat Islam, kepercayaan dan perasaan.

Kata kunci: kebebasan beragama, kebebasan beriktikad, toleransi, keadilan, kesaksamaan

ABSTRACT

The issue of peaceful coexistence amongst religions in Islam is regarded as one of the most significant issues, indicated by Muslim scholars and thinkers by identifying and stating the coexistence and forbearance with reference to the most Islamic sources: the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah. That is because Islam, as a divine religion is based on stable principles and clear bases, does not refuse coexistence since the aims are to serve the sublime humane goals and realize the superior benefits, the most important of which is guarding security and stopping aggression, repression and oppression on individuals, groups and peoples. All that is on the condition that coexistence must be controlled with respect between religions and humanity all together. The definitions of the peaceful coexistence in Islam from the Quranic verses and the Prophetic biography denote the possibility of cooperation and treatment in good condition and mutual understanding for the values of conversation and argument in good condition and mutual respect. In addition, Islam disallows violating Muslims' rights, beliefs and feelings.

Keywords: peaciful coexistence, freedom of belief, tolerance, justice, equality

المقدمة

عرف القرن العشرين تحولات إقتصادية وسياسية كبيرة أبرزها حركات الإستقلال والتحرر بعد الحربين العالميتين وظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وبروز منظمات دولية وإقليمية التي تسعى إلى تحقيق الأمن والإستقرار في العالم مع ما صاحب ذلك من تعثرات وخيبات. فكل هذه الأحداث قد أخذت وجهة جديدة في القرن الحادي والعشرين وبالخصوص بالنظر إلى العولمة كحقيقة واقعة تفرض نفسها على العالم.

وفي هذا الإطار نتحدث عن دور الإسلام والمسلمين في تحقيق التعايش والتفاهم والحوار بين الأديان والثقافات المختلفة والتعريف بحقيقة الإسلام بإعتباره دعوة مفتوحة إلى الإنسانية جميعا مصداقا لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات ١٣: ٤٩). وليس مطلوبا من المسلمين أن يعيشوا في عزلة عن العالم من حولهم، بل مهمتهم الأساسية هي الإتصال بهذا العالم وهدايته إلى الطريق القويم.

فسيتم تناول موضوع التعايش السلمي بين الأديان في إطار الإسلام وهو موضوع الذي يحيلنا على البحث في جملة من المسائل ذات العلاقة المتداخلة والمتكاملة بغض النظر عن المفارقة ما بين المدلولات المستخدمة لهذه الكلمة، والدوافع التي أدت إلى المناداة بها إذ تعكس طبيعة العصر وما آل إليه من توترات وصراعات ومواجهات إيديولوجية وثقافية وحضارية ودينية.

مفهوم التعايش السلمي بين الأديان في الإسلام

التعايش في الإسلام ينطلق من قاعدة عقائدية، وهو ذو جذور إيمانية و لذلك مفهوم التعايش السلمي في الإسلام ليس من جملة المفاهيم الوضعية الحديثة التي صيغت منها القوانين المحلية و الدولية. يعتقد المسلم أن الهدي الإلهي جاء عبر سلسلة طويلة من الرسالات والنبوات إلى اليهود والنصارى والإسلام، فمن الطبيعي إذا أن تكون هذه الأديان الثلاثة أقرب بعضها إلى بعض من سائر الأديان، فمساحة مشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة الواسعة، وجعل الإسلام في قلوب المسلمين متسعا للتعايش مع الناس كافة (التوجيري ١٩٩٨). وأطلق على اليهود والنصارى في القرآن اسم أهل الكتاب، وإعتبرهم أهل الديانات السماوية، وأبطل الإسلام التمايز والتفاضل بغير الأعمال التي يقدمها الإنسان لخدمة الآخرين في مجتمعه، وجعل الناس سواسية في إنسانيتهم.

هناك تعريفات لمفهوم التعايش السلمي بين الأديان في منظور الإسلامي منها تعريف هاني المبارك أنه: قبول بالتعايش فيه عدل ومساواة وتسامح فيما اختلف فيه لدى تلك الأطراف، واحترام متبادل من كل طرف لطرف الآخر (المبارك ١٩٩٧). ويتبين لنا من هذا التعريف أن الاسلام أبطل التمايز والتفاضل بغير الأعمال التي يقدمها الإنسان لخدمة الآخرين في مجتمعه، و جعل الناس سواسية في إنسانيتهم. وهذا الإستعداد الفطري المركوز في طبيعة الإنسانية قدره الإسلام أعظم تقدير و إعتبره في تشريعاته كل الإعتبار، فنظر إلى الإنسانية النظرة واحدة و تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات ١٣:٤٩). ومفهوم التعارف ذو سعة يمكن أن يشمل كل المعاني التي تدل على التعاون والتعايش ويمكن أيضا أن يستوعب التعارف قيم الحوار، والجدل بالتي هي أحسن (التوجيري

١٩٩٨)، فالإسلام لم يشرع في المجتمع متنوع الأديان غير الحوار لأقامة مجتمع سياسي واحد في الإنتماء السياسي التنظيمي، وإن كان مجتمع متنوع في إنتمائه الديني (نفيسة ١٩٩٥).

أيضا عرف رعد عساف التعايش السلمي بأنه: معايشة كل أفراد بني بشر سواء منهم أصحاب الشرائع السماوية أو الفلسفات الوضعية مع إحترام الحقوق والخصوصيات في المجتمع (التميمي بدون تاريخ). ويتبين لنا أن التعايش السلمي يعني التفاهم حول الأهداف المتفق عليها بين الطرفين، والقصد الرئيسي منه هو خدمة الأهداف الإنسانية السامية، وتحقيق المصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتباب الأمن والسلم في الأرض والحيلولة دون قيام الحروب والنزعات، ورد العدوان والظلم الذي يلحق بالأفراد والجمعات من أجل أن تستمر الحياة.

وأيضا عرف أحمد بوادي التعايش السلمي بأنه: أن يحي الناس حياة الأمن والأمان دون الخوف والفزع ومن غير إعتداء أحد منهم على الآخر مع وجود أواصر الألفة والمودة والمحبة (http://majles.alukah.net/showthread.php?t=٢١٩٥). والتعايش السلمي في هذا التعريف هو إقرار للجميع بالحقوق الطبيعية التي أقرها الإسلام، و التعايش يفترض إقرار بوجود الآخرين وحفظ الحرية والشعور بالإطمئنان، كما يفترض ألا يفسح في المجال هيمنة أو ظلم أو توتر أو صدام بين الشعوب.

فالتعايش السلمي بين الأديان هو الثمرة التصور الإسلامي للإنسان قائم على أساس معيارين اثنين، أولهما تحديد غاية الوجود الإنساني التي يتخذ الإنسان الأسباب لتحقيقها، ومن ثم إلتزام بالأسباب التي تتوائم مع هذه الغاية و لا تصادمها، وثانيهما هو الوعي بوجود الحياة غير الحياة الدنيا القصيرة أي الحياة الخالدة الباقية (التوجيري ١٩٩٨). ومن هذا الأساس الذي وضعها الله تعالى لمعتنقي الإسلام يقبل المسلم على إحترام الناس جميعا سواء أكانوا على العقيدة الإسلامية أم لم يكونوا، مؤمنا بأن رابطة الإنسانية تشده إليهم والإسلام يطلب منه ذلك.

نستنتج من كل ما سبق أن مبدأ التعايش والتسامح مع الآخرين على اختلاف قومياتهم ودياناتهم وألوانهم هو جزء من عقيدة المسلم، الذي يقوم على إيمانه بالوحدة الإنسانية لأن الناس كلهم من المخلوقات الله تعالى، فالناس يعيشون في أسرة كبيرة خلقها الله تعالى ليتعايش ويتعارف أفرادها، وهذا لا يعني أن الإسلام يقر أو يسمح بإيجاد ديانة مشتركة تحت الشعار " التعايش السلمي بين الأديان " أي الإسلام يقر أي الدعوة التقريب بين الأديان. فالتعايش لا يتم إلا أن يتحلى جميع الأطراف بالمودة والتسامح والوفاء مع قبول التعددية الدينية على أساس المبدأ وهو قوله تعالى: لَكُمْ

دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (الكافرون ١٠٩:٦)، الذي يبين لنا أن الإسلام هو الدين التعايش والتسامح وحرية الإعتقاد الذي يرفض أي الدعوة التقارب الأديان.

فالتعايش السلمي في الاسلام إذا هو التعامل والتفاهم الإنسان أو البشر مع غيره بسهولة ويسر بلا تعصب الديني أو العصبي ليظل المجتمع كله في ظل المودة و السماحة.

موقف الإسلام من سائر الديانات

أرسل الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، كتابيهم ومشركهم، عربهم وعجمهم، في وقت كانوا في أشد حاجة إلى النبي من عند الله يخرجهم من الظلمات إلى النور، و قال الله تعالى: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ • رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (البينة ٩٨:١-٢)، قال مجاهد: لم يكنوا "مُنْفَكِّينَ" يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق، و كذا قال قتادة : "حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ" أي هذا القرآن (إبن كثير ٢٠٠٠).

فجاء القرآن الكريم بيانا شافيا، وقضاء عدلا، فيما كانوا فيه يختلفون أصحاب الديانات وخاصة أهل الكتاب. فلذلك خصصهم الله في القرآن الكريم وقال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ • إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (النمل٧٦: ٢٧-٧٨). فأهل الكتاب إختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لسلموا (إبن الجوزية ٢٠٠٢).

وقال الله تعالى بعد الذكر الكتابين السابقين التوراة والإنجيل: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (المائدة ٤٨: ٥)، فالقرآن الكريم جاء رقيبا على سائر الكتب السماوية المحفوظة عن التغيير حيث يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها (الألوسي البغدادي ٢٠٠٥) فعلاقة الأسلام بالشرائع السماوية هي علاقة تصديق.

فالدعوة الإسلامية إنما تمثل الحلقة الأخيرة من السلسلة الدعوة الطويلة إلى الأسلام، وقد ذكر أنبياء الله عليهم السلام في القرآن الكريم بالتقديس والتكريم، مؤكدا على أن العقيدة التي دعوا إليها

هي عقيدة التوحيد نفسها التي دعى إليها محمد صلى الله عليه وسلم (لينة الحمصي ٢٠٠٩)، وقال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (الصف ٦: ٦١).

فالإسلام هو الدين الذي اتحد جميع الرسل على نشره وتخليصه من الشوائب، وليس بدين جديد الذي جاء لأمة معينة، وإنما الدين الذي أوحاه الله إلى جميع رسله فحرفه أتباعهم، ثم أنزل أخيرا إلى محمد صلى الله عليه وسلم لإحداث إصلاح الديني العام لسائر الملل، و يذكر أحمد بنعبد الرحمن أن حكم الإسلام في أصحاب الأديان الأخرى تنتظم في حكمين: (أحمد بن عبدالرحمن ١٤٢٢ه)

أولا: حكم الإسلام في غير المسلمين من الناحية الإعتقادية.

توافرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على ذم عامة معتنقي الأديان من أهل الكتاب والمشركين والمجوس في مختلف مسائل الإيمان وأعمال البدعية و الشركية، و بعض هذه النصوص.

١- حكم الإسلام بنفي الإيمان عنهم.

منها قاله تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ (المائدة ٥:٨١).

يقول سيد قطب (١٩٨٢) في تفسير هذه الآية: أن أهل الكتاب جميعا- إلا قلة التي آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم- غير مؤمنين بالله. لأنهم لم يؤمنوا برسوله الأخير و لم ينف القرآن الكريم عنهم الإيمان بالنهي وحده. بل نفى عنهم الإيمان بالله كذلك. وهو تقرير من الله سبحانه وتعالى لا يقبل التأويل. مهما تكن دعواهم في الإيمان بالله .

٢- وردت النصوص الصريحة في القرآن الكريم بتكفير اليهود والنصارى الذين رفضوا إعتناق الإسلام وتنوعت موارد كفرهم، منها:

أ- القول بألوهية المسيح.

قالى الله تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (المائدة ٥:١٧).

يقول سعيد حوى في هذه الآية:" أي كفر أفظع من هذا الكفر جعل البشر إلها. فالمسيح عبد مخلوق كسائر العباد، ومن اشتمل عليه رحم الأمومية لا يفارقه نقص البشرية، زمن لاحت عليه شواهد الحدثية لا يليق به نعمت الربوبية " (سعيد حوى بدون تاريخ).

ب- الكفر بآيات الله.

قال الله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ (ال عمران ٣:٩٨).

يقول محمد جواد في تفسير هذه الآية:

اهتم القرآن إهتماما بالغا بأهل الكتاب، فأنزل فيهم العديد من الآيات، تذكرهم بالتوراة والإنجيل، وتنعي عليهم تحريفها، وتجادلهم بالتي هي أحسن، وتحصي عليهم الكثير من أخطائهم وآثمهم ومنها هذه الآية: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، التي دلت على النبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أن الكعبة هي أول البيت وضع للعباد (محمد جواد مغنية ١٩٨١).

ت- الشرك وعبادة غير الله.

قال الله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ (التوبة ٩:٣١).

يقول أبو الليث السمرقندي في تفسير هذه الآية: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ يعني علمائهم، وَرُهْبَانَهُمْ يعني أصحاب الصوامع والمتعبدين منهم، أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، يعني إتخاذهم كالأرباب يطيعونهم في معاصي الله تعالى (السمرقندي ١٩٩٣م)

فهذا هو حكم الإسلام في أهل الكتاب و غير المسلمين من الناحية العلمية العقدية، فالذين لم يعتنقوا الإسلام بعد مجيء محمد صلى الله عليه وسلم هم كفار غير مؤمنين. فجملة أسباب الذي بسببها أكفر الله اليهود والنصارى ومعتنقي الأديان الأخرى هي: عدم إيمان بالله إيمانا صحيحا بروبوبيته وألوهيته وأسماء وصفاته، وإنكارهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، كفرهم بآيات الله بتكذيبها وكتمانها وتحريفها وعدم إقامتها.

ثانيا: حكم الإسلام في معاملة غير المسلمين من الناحية الشرعية.

بناء على الحكم العقدي الواضح في كفر غير المسلمين وإعراض عن خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم جاءت الأحكام الشريعة الإسلامية بمعاملة تجمع بين إلتزام الحق و لزوم العدل، بين تمييز أهل الإيمان وإظهار شرفهم وبين منع الظلم مع غير المسلمين (أحمد بن عبدالرحمن ١٤٢٢ه) وقد أشار القرآن على بعض الأحكام في معاملة غير المسلمين (صالح بن عبد الرحمن ١٤٣٠).

١- أحكام متعلقة بحفظ الدين في معاملة غير المسلمين.

أ- عدم موالات الكافرين.

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (ال عمران ٣:١٠٠).

يقول إمام حافظ ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية:" فلا تأتمنوهم على دينكم، ولا تنتصحوهم على أنفسكم، فإنهم الأعداء والحسدة والضلال، كيف تأتمنون قوما كفروا بكتابهم وقتلوا رسلهم أولئك هم أهل التهمة والعداوة" (ابن أبي حاتم ١٩٩٩).

ب- تحريم التشبه بالكافرين.

قال الله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء ٤:١١٥).

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية:" إذا علم أن هذا المنهج من عند الله، ثم شاق الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ولم يتبعه ويطعه، ولم يرض بمنهج الله الذي تبين له، فعندئذ يكتب الله عليه الضلال، ويوليه الوجهة التي تولاها، ويلحقه بالكفار والمشركين الذين توجه إليهم" (سيد قطب ١٩٧١م).

ت- تحذير من كتبهم ومروياتهم.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار الله، محضا لم يشب قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله و غيروا فكتبوا بأيديهم، قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا. أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم. فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم (رواه البخاري).

فكل المخالفات التي حصلت لما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم لا يمكن إعتبارها إلا إنحرافا عن الحق، وهو أمر طارئ وليس أصلا ولا طبيعيا (سورحمن هدايات ٢٠٠١)، وهذه هي اهم أحكام وليس كل، متعلقة بحفظ الدين في علاقة مع غير المسلمين.

٢- أحكام المتعلقة بالتعامل مع غير المسلمين.

ومع أن سائر الديانات السماوية والوضعية غير الإسلام ليست على الحق يقف الإسلام منها موقف التعايش والتسامح، وهذا لا يعني أن الإسلام يعترف بأن كل الديانات على الحق، فالإسلام وحده

دين الحق ولا بد للمسلمين من التعاون مع غير المسلمين في كثير من الأمور الدنيوية فيما لايتصل بالأمور العقدية و التعبدية. تناول الدارسين بعض مظاهر التعامل مع غير المسلمين الذي أمر به القرآن الكريم ومنها:

أ- الإحسان والعدل في معاملة مع غير المسلمين.

منها قاله تعالى: لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الممتحنة ٦٠:٨)

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لايقاتلونكم في الدين، كالنساء و الضعفة منهم "أَنْ تَبَرُّوهُمْ " أي: تحسنوا إليهم، " وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ " أي: تعدلوا (إ بن كثير ٢٠٠٠).

ب- حسن جوار مع غير المسلمين.

منها قاله تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ (النساء ٤:٣٦).

يقول محمد على طه الدرة (٢٠٠٩) في تفسير هذه الآية: قال نوف الشامي رحمة الله تعالى: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى: المسلم، وَالْجَارِ الْجُنُبِ: الكافر، وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها، مندوب إليها، مسلما كان أو كافرا وهو الصحيح، و الإحسان يكون بمعنى مواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة، وكف الأذى، والمحاماة دونه .

ت- حل طعامهم و نسائهم.

منها قاله تعالى: اليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ (المائدة ٥:٥).

يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية:" الطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبائح وفي هذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وإن كانوا لا يذكرون على ذبائحهم اسم الله. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والمراد بهن الحرائر دون الأماء، هكذا قال الجمهور" (الشوكاني ٢٠٠٧).

ث- عدم إكراه على الدخول في الإسلام.

منها قاله تعالى: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة ٢:٢٥٦).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: "لا تكرهوا أحداً على الدّخول في دين الإسلام، فإنّه بين واضح جلي دلائله وبراهينه، لايحتاج إلى أن يكره أحد على الدّخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه، وبصره، فإنّه لا يفيده الدّخول في الدّين مكرها مقصورا" (ابن كثير ٢٠٠٥).

وهذه هي بعض مظاهر العلاقات مسلمين مع غيرهم الذي امر الله تعالى بها في القرآن الكريم والسنة النبوية، دون تفصيل ورجوع إلى أقوال الفقهاء في مسائل الجزئية. وهذه المسائل مبنية على القاعدة الفقهية التي تحدد موقف المسلمين من غير المسلمين المقيمين في المجتمع الإسلامي وهي: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهذه القاعدة جرت على لسان الفقهاء الحنفية، وتدل عليها عبارات الفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة، ويؤيدها بعض الآثار عن السلف (موسوعة الفقهية). وقد إلتزم المسلمون منذ ظهور الإسلام وعلى مدى أربعة عشر قرنا- بإستثناء بعض عهود الضعف والتدهور- بهذه القاعدة ووضعوها موضع التنفيذ الدقيق في كافة معاملاتهم مع غير المسلمين عامة وأهل الكتاب خاصة (الدهبي ١٩٩٣). لكن هذه القاعدة غير مطبقة على إطلاقها، لأن الكفار منقسم إلى عدة فئات: أهل الذمة و المستأمن وأهل الحرب.

فأهل الذمة: هم غير المسلمون سواء من أهل الكتاب أو من غيرهم، الذين يعيشون في دولة الإسلامية مع قبولهم بالشرط بذل الجزية والتزام أحكام الإسلام الدنيوية (موسوعة الفقهية،ص ١٢١).

المستأمن والمراد بهم عند الفقهاء: من دخل دار الإسلام على أمان مؤقت من قبل الإمام أو أحد المسلمين. والفرق بينه وبين أهل الذمة: أن الأمان لأهل الذمة مؤبد، وللمستأمن مؤقت (موسوعة الفقهية بدون تاريخ).

أهل الحرب وهم الكفار من أهل الكتاب والمشركين الذين إمتنعوا عن قبول الدعوة الإسلامية ولم يعقد لهم عقد ذمة ولا أمان (موسوعة الفقهية بدون تاريخ). وقد تصبح العلاقة بين المسلمين وغيرهم علاقة حرب، فإذا أصبحت كذلك فالإسلام لا يعتدي على أحد إمتثالا لأمر الله تعالى:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (البقرة ٢:١٩٠)، فمهمة الإسلام هي: إعلاء كلمة الله وتبليغ دينه، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ونصر المظلومين، ورد العدوان وحفظ السلام وحماية عقيدة التوحيد (جاد ناصر ٢٠٠٩).

فالإسلام لايطلب من المسلمين أن يعيشوا في عزلة عن العالم من حولهم، بل مهمتهم الأساسية هي الإتصال بهذا العالم وهدايته إلى الطريق القويم، والتعايش والتسامح إزاء أتباع الأديان الأخرى لم يكن ملزمة للمسلمين فقط بل لأتباع الأديان الأخرى أيضا. فمثلا هذه الأمور المظهرية هي أثار الفطرة الإنسانية التي من شأنها أن تحب الخير وتحبب الناس إليه وتكره الشر وتقبحه (سورحمن هدايات ٢٠٠١)، وقد قرر الإسلام أسس الخلقية التي هي حقائق الثابتة وعالمية في التعامل البشرية فيما بينهم، فأسس التعايش والتعامل مع غير المسلمين هي أسمى ما يمكن أن يصل إليه التشريع في الحرية والعدل والمساوة والتسامح.

أسس التعايش السلمي في الإسلام.

فموضوع التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم قضية تعد من المسلمات الإعتقادية والتشريعية والأخلاقية لدى المسلمين، وسبب في ذلك أن القرآن الكريم وضع أسسه ومبادئه والرسول صلى الله عليه وسلم قام بتطبيقه، ونهج الصحابة رضوان الله عليهم من بعده صلى الله عليه وسلم المنهج نفسه، واستمر مسير التعايش السلمي بين الأديان عبر هذه القرون الطويلة، إلا بعض الفترات الزمنية التي كان التعايش فيها ترتكس نحو سلبية أو عصبية، بسبب الجهل بحقيقة الدين السماوي أو التأويلات المنحرفة أو الأهواء والمصالح السياسية، أو تدخل الغرباء الذين يسعون لبث الشكوك تمهيدا للإستعمار والإستغلال للبلاد.

وحفظا على وحدة الإنسانية وتحقيقا لما ينبغي أن يمتد منها من الأهداف والنتائج، أقام الإسلام الدعائم الثابتة للعلاقات الإنسانية سواء كانت بين الأفراد أو الجماعات (سورحمن هدايات ٢٠٠١)، فالقرآن الكريم وسنة النبوية وضعت قواعد التعايش مع غير المسلمين، وكانت هذه القواعد أسسا واضحة التي تحفظ الكرامة الإنسانية، إمتثالا لقوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ (الإسراء ١٧:٧٠) لأن الله تعالى شرف بني آدم وكرمهم في خلقهم على أحسن الهيئات وأكملها (دمشقي ٢٠٠٠)، ويقول رعد عساف: :إن التعايش بين الديانات لايمكن أن ينجح أو يستقر إلا إذا إعتمد على أسس وركائز تكون كفيلة بإحيائه وحفظه، لأنه إذا لم تكن هناك ضابطة وركيزة يعتمد عليها

التعايش فسوف تختلط الأوراق، وتغيب الحقيقة وقد يؤدي الأمر في الواقع إلى الإقصاء ونفي الآخر (التميمي بدون تاريخ). فالقرآن الكريم والسنة النبوية لم يأتيا في معاملة غير المسلمين إلا بالمبادئ العامة الأساسية والقواعد الكلية دون تعرض للقوانين والأنظمة التفصيلية في كل ناحية من نواحي الحياة التي بطبيعتها تتغير بتغير ظروف الزمان والمكان (بركة ١٩٩٠) وأي مساس بأسس يؤدي إلى خلل في العلاقات وعدم التفاهم بين الشعوب. وعلى سبيل الإيجاز نشير فيما يلي إلى أهم الأسس العامة للتعايش منها:

١ - حرية الإعتقاد

من أهم الأسس التي قررها الإسلام لتعامل والتعايش في المجتمع هو حرية الإعتقاد، فللإنسان حرية التامة في اختيار الدين أو المعتقد الذي يريد دون إكراه، مع الأخذ بالإعتبار أنه بعد إعتناقه للإسلام حرية الإعتقاد تكون مقيدة.

فتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم احترمت في مجال العلاقات الإنسانية مع أهل الشرائع الأخرى حرية الإعتقاد احتراما كاملا، كما نفى القرآن أن يكون الإكراه طريقا لإعتناق دين، ومنع المؤمنين أن يكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام، فقال تعالى: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (البقرة ٢:٢٥٦). فلم يعتمد الدين الإسلامي على منطق العنف المادي أو الإكراه المعنوي كأساس أو سبيل يسلكه في دعوة الناس بل أقام دعوة على الحكمة والموعظة الحسنة وفقا للأمر الإلهي، فلقد جاء الإسلام ليبين للناس طريق الهداية والفوز برضوان الله فدعاهم إلى اعتناقه بمنطق السماحة والحرية بما لا تعرفه أية شريعة من الشرائع الوضعية تاركا بذلك لكل ذي عقل حصيف أن يتخير لنفسه ما يشاء (عفيفي١٩٩٠م).

وجاءت التطبيقات لحرية الإعتقاد مؤيدة لمنطلق النظري، ومن أشهر ما أثر في زمن الدولة الإسلامية، كتاب الصلح الذي أرسله أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب إلى أهل القدس يعاهدهم فيه على الأمان لأنفسهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، ويضمن لهم عدم سكنى هذه الكنائس أو هدمها أو الإنتقاص منها، وهو ما يفيد عدم إكراههم على ترك ما يدينون أو إلحاق الأذى والضرر بهم (هيكل ١٩٩٠).

وهذا دليل على رد الإسلام للإكراه الديني في التعامل مع غير المسلمين وتتأكد النظرة الإسلامية للإنسان، وعقله، وإرادته، واحترامه لإنسانيته، في نظرة الإسلام لغير المسلمين، وتقدير

مكانتهم الإنسانية، واحترام كرامتهم، وحسن التعامل معهم، وإنصاف الحق لهم، ولو خالفوا المسلمين في الدين والعقيدة (الزحيلي ١٩٩٧م). فحرية الإعتقاد في الإسلام لا سيطرة لأحد عليها سواء أكان حاكماً أو مرشداً أو معلماً أو زعيماً، ومن هنا تكون السلطة الإسلامية بعيدة كل البعد عن فرض العقيدة بالقوة والإكراه على من خالفها في الدين من الرعية فضلاً عن الأمم الأخرى، وفي ذلك ضمان لتعايش السلمي بين الناس والشعوب المختلفة.

وقرر الإسلام هذا الأساس أو المبدأ وحث أتباعه على التعامل مع غير المسلمين وفق هذا الأساس القويم، وكذلك جسدته مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، لأنه لا يعقل الإكراه في شئون الإعتقادية وقال تعالى: وَلَو شَآءَ رَبُّكَ لأَمَنَ مَن فِي الأَرضِ كُلُّهُم جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكرِهَ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِين (يونس١٠:٩٩). فحرية الإعتقاد هو أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنسانا حرية الإعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء، ومع حرية الإعتناق حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة (سيد قطب ١٩٧١م).

٢- التسامح

دعا الإسلام إلى التسامح غير الذليل فهو يبنى العلاقات الإنسانية بين الأفراد أو بين الجماعات على التسامح فيما بينهم، فالإسلام ينظر إلى الأديان الأخرى نظرة تسامح، فقد سمي اليهود والنصارى في القرآن بأهل الكتاب.

وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية و من مساواة والعدالة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري، بحيث حثنا ديننا الحنيف على احترام جميع الدينات وقال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (النساء ٤:١)، يقول محمد أبو زهرة في تفسير هذه الآية: وإذا كان الناس جميعا ينتهون إلى أصل واحد فإنه لا بد من التساوى، ولا بد من التراحم (أبو زهرة بدون تاريخ). والتسامح ليس هو التنازل أو التساهل أو الحياد تجاه الغير، بل هو الاعتراف بالحقوق الآخرين.

فالتسامح في الإسلام مع كل فئات المجتمع لا يستطيع أحد إنكارها إلا إذا كان مغرضا أو صاحب هوى و الأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، فقد تأسس مجتمع المدينة المنورة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها على التعددية الدينية و الثقافية، ومارس المسلمون ذلك من بعده عملياً على مدى تاريخهم الطويل. يقول الدكتورة زيغريد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب"، و لعل أهم إنتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، حتى إن الملك الفارسي (كيروس)

قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون مخربين، فما يدعيه من إتهامهم بالتعصب، ما هو أسطورة من نسيج الخيال، تكذبها الآف الأدلة (جعفر عبد السلام ٢٠٠٥). فالعصبيات برغم ما يساندها من قوانين وتقاليد وضعية هي في نظر الدين حماقة الكبرى والإعتراف بها هدم للأركان الأولى من الرسالات التي أنزل الله هداية للعالمين (الغزالي بدون تاريخ)

وهذا يعني أن العلاقة الإنسانية بين أفراد البشر هي علاقة حرة يتنازل كل منهم عن قدر مِن حريته في سبيل قيام مجتمع إنساني يحقق الخير للجميع. ويحرص الإسلام كل الحرص على تأكيد هذا التسامح بين الأديان مما يجعله عنصرا جوهريا من عناصر عقيدة المسلمين، وأقر الإسلام منذ بداية التعددية الدينية والثقافية، وصارت هذه التعددية من العلامات المميزة في التعاليم الإسلامية.

٣- المساواة

من أهم المبادئ التي أقرها الإسلام في معاملة الإنسانية هو مبدأ المساواة بين المسلمين و غيرهم، إذ يسوي الإسلام في تطبيق بين الناس فيقرر أن الذميين في بلد الإسلامي أو في بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات، ويجب على الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن رعاياها المسلمين، إلا ما تعلق بشئون الدين فيتركون وما يدينون (جاد ناصر ٢٠٠٩).

فالمساواة الإسلامية الناشئة عن كرامة الإنسانية ليس مراد منها التساوي في العقول أم العلوم أو في مآثر الأعمال لظهور التفاوت بين الناس، ولكن يراد منها تساوي الناس في حقوق أساسية للإنسان. الإسلام دين قوامة الفطرة فكل ما شهدت الفطرة بالتساوي بين الناس، الإسلام يقول فيه بالمساواة، وكل ما شهدت الفطرة بتفاوت المواهب البشرية فيه فالإسلام يعطي ذلك التفاوت حقه بمقدار ما تستحقه. فالإسلام يدعوا إلى هذه المعاملة الطيبة بين الناس، لأن الناس جميعا من أصل الإنساني واحد الذي يقتضي المساواة في الأمور الإنسانية، و قال الله تعالى في القرآن الكريم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (الحجرات ٤٩:١٤).

وبهذا أبطل الإسلام نظريات التفرقة العنصرية وفرض على الناس جميعا مبدأ المساواة، ويقول سيد قطب: "أن الإسلام جاء ليقول للناس أن هناك إنسانية واحدة، ترجع إلى أصل واحد، وتتجه إلى إله واحد. وإن إختلاف الأجناس والألوان وإختلاف الرقعة و المكان، كل أولئك لم يكن ليتفرق الناس ويختصموا وينعزلوا. ولكن ليتعارفوا ويتآلفوا وتتوزع بينهم وظائف" (سيد قطب، نسخة إليكترونية).

إليكترونية).

وتدل أحداث السيرة النبوية على أن هذا المبدأ لم يكن مقصورا على كونه مبدأ نظري، بل إنه كان منفذا أدق تنفيذ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده. فلما هاجر الرسول صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أراد أن يجعل منها وطنا واحدا للعرب ولليهود، و أن يجعل من الفريقين أمة واحدة تجمعها جامعة الوطن، ولا يفرق بينها إختلافها في الدين فأبطل ما كان بين أهل المدينة قبل الإسلام من المعاهدات المفرقة الظالمة، وعقد بينهم معاهدة تحقق الأغراض أرادها لهم، وتجعلهم أمة واحدة على أعدائهم وكتب بها كتابا بين المهاجرين والأنصار واليهود (بركة ١٩٩٠).

إن هذه واقعة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مثال صريح و تطبيق واضح للمساواة في الإسلام، وهي تساعد في نشر وتعميق روح المواطنة بين أبناء الوطن الواحد، إذ الإنسان دائما يسعى إلى المساواة والعدل ويرغب في أن يحيا في ظل دولة تحقق تلك القيم النبيلة بين فئات المجتمع، فأساس المساواة في التعايش السلمي يعني منع التفرقة والتمييز فيما بين الأفراد المتساوين أصلا.

٤ – العدالة

العدالة من أهم المبادئ السامية التي إتخذها الإسلام في تنظيم علاقته بغير المسلمين، فالعلاقات في الإسلام قائمة على أساس العدالة سواء مع أصحاب الدين أو مع المخالفين (جاد ناصر ٢٠٠٩)، وقال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (المائدة ٥:٨).

فالعدل تعتبر من قيم المثالية في الحياة وهي ثابتة يقتضيها العقل في جميع التصرفات، وعامة العدل هو دعوة للوسطية والتوازن، لهذا كان العدل ضرورة من ضرورات الحياة، فالحياة لا تستقيم مع الظلم والجور لأن العدل فريضة، والظلم غير مقبول سواء فيما يتعلق بعلاقة الأفراد مع بعضهم، أو فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة. يقول سيد قطب: "العدالة الإجتماعية في الإسلام عدالة إنسانية شاملة لكل مقومات الحياة الإنسانية، ولا تقف عند الماديات والإقتصاديات، وأن القيم في هذه الحياة مادية معنوية في الوقت ذاته، لا يمكن الفصل بين صفتيها المتحدة" (سيد قطب ١٩٩٣).

فالعدل ضرورة للفرد في نفسه وذاته وربه، كما أنه ضرورة ثابتة في علاقات الناس فيما بينهم من هذا المنطلق كان العدل فريضة واجبة (التونجي ١٩٩٣)، والعدل يعم كافة ميادين الحياة، فالمطلوب عدل الولاة في الرعية، وعدل في القضاء بين المتقاضين، وعدل في الأحكام، وعدل الإنسان في عائلته وعدل في المجتمع مهما كان المجتمع مختلف الديانات والأفكار والعقائد. فالعدل هي من أهم

الأسس في التعايش السلمي وهي ضرورة البشرية وحق مفروض على الجميع مهما إختلف أجناسهم وألوانهم، بل هي ضرورة واجبة تجاه المؤمنين والكافرين. ولعل التاريخ البشري لم يشهد منتصرا يعدل من نفسه كالمسلمين إذا نفذوا أحكام القرآن والسنة النبوية، والتاريخ يذكر أن المسلمين كانوا يعوضون الناس عن أي ضرر كان يلحقهم من المسلمين فهذا شاب من غير المسلمين نازع ولدا لعمروبن العاص في ميدان السباق في ولاية أبيه على مصر فسبقه، فغضب ابن والى مصر أن سبقه هذا القبطي، فضربه ابن عمرو ضربة على رأسه وهو يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. ولكن القبطي رحل إلى عمر بن الخطاب ليرفع له هذا الأمر، وإذا بعمر يأمر بالقصاص ويعطي القبطي العصا ويقول له: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال لعمروقولته الخالدة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم و لم يأتني (إبن الجوزية ٢٠٠٠).

هكذا بلغت العدالة في الإسلام مع المخالفين في الدين أقصى حد لها، فالإسلام يفرض العدالة لأنه حق الطبيعي للأنسان، وهو الأساس الجوهري في المجتمع الذي بدونه غير ممكن أن يتعايش الأمم والأديان، فإذا خلت منه ساد الظلم وعم الفساد وهلكة الأمة.

٥- الأمن و السلام.

لقد وضع الإسلام قواعد محكمة لكفالة الأمن والسلام، ليس بين المسلمين فحسب، بل بين المسلمين وجيرانهم من رعايا غير المسلمين، بحيث أصبح الإسلام بحق دين الأمن والسلام (جاد ٢٠٠٩).

فالعلاقة المشروعة في الإسلام تقوم على أساس من العدالة والحرية والإنسانية، ودعم الأمن والسلام العام، وليس عزة الإسلام في التسلط والإكراه و القسوة، أو الإرهاب، فلا تسلط ولا إرهاب ولا إجبار، لأن الإسلام يقر بحرية الشعوب، كما يقر بحرية الأفراد، فالأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، وليس الحرب. وأما الذين قرروا العكس فكانت نظرتهم سطحية، ومتأثرة بواقع العلاقات الساخنة في الماضي بين المسلمين وأعدائهم ، وقد وردت كلمة (السلم) في القرآن الكريم أكثر من مئة مرة، أما كلمة (الحرب) ومشتقاتها فلم تذكر إلا في ستة آيات (البقرة ٢:٢٧٩ ؛ المائدة: ٥:٣٣، ٦٤؛ الأنفال: ٨:٥٧؛ التوبة: ٩:١٠٧؛ محمد٤٧:٤)، يراد منها الحث على القتال في أثناء المعركة وتصفية آثارها، وعلى أساس المعاملة بالمثل ومقابلة العدو بمثل فعله، عملا بقوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (البقرة ٢:١٩٣)، وإن علة القتال هي الحرابة والعداوة، وليس الكفر (الزحيلي ٢٠٠٠).

فالإسلام يعترف بإمكان وقوع الحرب والقتال بين البشر، وإذا كان وقوع الحرب غير مستبعد، فلا بد أن نستعد لها حتى لايستباح حمانا، ولا بد أن نحيط هذا الحرب بسياج من التشريعات والتوجيهات الأخلاقية، حتى لاتخرج عن قوانين العدل والرحمة، ولا تحكمها غرائز الغضب وحدها، فمن أهداف القتال في الإسلام هو دفع الإعتداء ورده بالقوة، سواء كان هذا الإعتداء واقعا على الدين أم على الوطن والأرض. يقول سيد قطب: "الإعتداء على الدين يشمل فتنة المسلمين عن دينهم، واضطهادهم من أجل عقيدتهم، أو وقوف في وجه الدعوة ومنعها" (سيد قطب ١٩٧١).

الخلاصة

الإسلام هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يدعوا الناس جميعا إلى وحدة الإنسانية والتعايش والتفاهم فيما بينهم الذي بدونه لا يمكن أن تستمر الحياة في الأمن والسلام. ولقيام وحدة الإنسانية في المجتمع وضع الإسلام المبادئ الحكيمة وجاءت التعاليم الإسلامية مبينة للأسس التي يبنى عليها مفهوم التعايش السلمي، ولا بد من تطبيق هذه الأسس و الأحكام موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية في المعاملة غير المسلمين لأن تصود الأمن والسلام والعدل في المجتمع.

المراجع

القرآن الكريم.

أحمد بن عبدالرحمن. ١٤٢٢ه. *دعوة التقريب بين الأديان دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية*. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

أبي حاتم الإمام الحافظ ابن. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه والصحابة والتابعين*. ج٣. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن كثير. ٢٠٠٥م. *عمدة التفسير*. القاهرة: دار الوفاء.

أبو زهرة، محمد. بدون تاريخ. *زهرة التفاسير*. القاهرة: دار الفكر العربي.

إبن كثير أبي الفداء أسماعيل. ٢٠٠٠. *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار ابن حزم.

إبن الجوزية، جمال الدين أبو الفرج .٢٠٠٠. *تاريخ عمر بن الخطاب*. القاهرة: مطبعة التوفيق الأدبية.

الألوسي البغدادي، السيد محمود . ٢٠٠٥. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني*. ج٣. القاهرة: دار الحديث.

بركة، عبد المنعم أحمد. ١٩٩٠. *الإسلام و المساواة بين المسلمين و غير المسلمين في عصور التاريخ*

الإسلامي و في العصر الحديث. إسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

التوجيري عبد العزيز بن عثمان. ١٩٩٨. *الإسلام و التعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي و العشرين*. بدون مكان الطباعة.

التميمي، رعد عساف حسين. بدون تاريخ. *التعايش أسس و أهداف في ضوء الكتاب و السنة*. بدون مكان الطباعة.

التونجي، عبد السلام. ١٩٩٣. *مؤسسة العدالة في الشريعة الإسلامية*. طرابليس: كلية الدعو الإسلامية.

جاد ناصر، محمدي محمد. ٢٠٠٩. *التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي*. القاهرة: دار الميمان للنشر والتوزيع.

الجوزية أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد. ٢٠٠٢. *زاد المسير في علم التفسير*. ج٣. بيروت: دار الكتب العلمية.

جعفر عبد السلام. ٢٠٠٥. *التسامح في الفكر الإسلامي*. القاهرة.

الحمصي لينة. ٢٠٠٩. *المسيحية و الإسلام دين واحد و شرائع شتى*. دمشق: دار العصماء.

الدرة، محمد على طه. ٢٠٠٩. *تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه*. ج٢. دمشق: دار ابن كثير.

دمشقي، ابن كثير القرشي. ٢٠٠٠. *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار ابن الحزم.

الدهبي، إدوار غالي. ١٩٩٣. *معاملة غير المسلمين في مجتمع الإسلامي*. القاهرة. مكتبة غريب.

الزحيلي، محمد. ١٩٩٧م. *حقوق الإنسان فى الإسلام دراسة مقارنة مع الإعلان العالمى والإعلان الإسلامى لحقوق الإنسان*. دار ابن كثير.

الزحيلي، وهبة. ٢٠٠٠. *حق الحرية في العالم*. بيروت: دار الفكر.

السمرقندي أبو الليث نصر. ١٩٩٣م. *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*. ج٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

سيد قطب. ١٩٨٢. *في ظلال القرآن*. القاهرة: دار الشرق.

سعيد، حوى. بدون تاريخ. *الأساس في التفسير*. بدون مكان الطباعة.

سيد قطب. ١٩٧١م. *فى ظلال القرآن*. بيروت: دار إحياء التّراث العربى.

سيد قطب. ١٩٩٣. *العدالة الإجتماعية في الإسلام*. القاهرة: دار الشروق.

سورحمن هدايات. ٢٠٠١ . *التعايش السلمي بين المسلمين و غيرهم داخل دولة واحدة*. بيروت: دار السلام

الشوكاني، محمد بن محمد. ٢٠٠٧. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير* بيروت: دار المعرفة.

صالح بن عبد الرحمن. ١٤٣٠. *الأحكام المتعلقة بالكافر في العبادات*. السعودية.

عفيفي مصطفى محمود. ١٩٩٠م. *الحقوق المعنوية للإنسان بين النظرية و التطبيق*. القاهرة: دار الفكر العربى.

الغزالي، محمد. بدون تاريخ. *التعصب و التسامح بين المسيحية و الإسلام*، القاهرة: مطبيعة حسان.

محمد جواد مغنية. ١٩٨١. *التفسير الكاشف*. بيروت: دار العلم للملايين.

المبارك، هاني. بدون تاريخ. *الإسلام و التفاهم و التعايش بين الشعوب*. بدون مكان الطباعة.

موسوعة الفقهية. بدون تاريخ. ج٧. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. كويت.

نفيسة محمد. ١٩٩٥م. *الحوار سبيل التعايش مع التعدد و الإختلاف*. بيروت: دار الفكر المعاصر.

هيكل، محمد حسين. ١٩٩٠. *فاروق عمر*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

http://majles.alukah.net/showthread.php?t=٢١٩٥ [١٢ February ٢٠١١].

*Kamilov Askhabali
Mudasir Rosder
Abd. Rahman Mahmood
Department of Theology and Philosophy
Faculty of Islamic Studies
Universiti Kebangsaan Malaysia
43600 UKM Bangi
Selangor, MALAYSIA
*E-mail: kamilov.a.m@gmail.com